ابو الحسن علي الحسني الندوي

درس من الحوادث

الناشر
المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المحاضرة

زار الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى عدداً من الأقطار العربية، بما فيها الامارات العربية المتحدة، و دولة قطر، و المملكة العربية السعودية، و ألقى عدة محاضرات فى عدد من المدن الرئيسية، و المراكز الثقافية، و النوادى الأدبية، و كان ذلك بين ٢١ من يناير و ٢٤ من فبراير وصادفت زيارته هذه حوادث جساماً تؤثر فى خارطة العالم الاسلامى و العربى، السياسية والاجتماعية، و تقرر مصير بعض البلاد، من ذلك نجاح الثورة الشعبية فى إيران ـ البلد المجاور القريب ـ بشكل مدهش للجميع، و مغادرة الشاه للبلاد فى صورة مسرحية مثيرة، و زيارة ملكة بريطانية للجزيرة العربية، التى كانت فيها موضع حفاوة نادرة، واستقبال ملوكى رائع.

و قد شاهد كل ذلك المحاضر بنظر المؤرخ الدارس، و الفاحص الباحث، و بشعور المسلم الداعى، الذى يحمل القلب و الضمير، و المشاعر و الأحاسيس، و قد أثر كل ذلك فى نفسه و أثار مشاعره، و حرك عواطفه،

www.abulhasanalinadwi.org

و فتق قريحتـــه ، وأطلق لسانه بالقول الصحيح الصريح ، القوى الجرىء ، البليغ المؤثر .

وهنا خلاصة محاضرتين ألقاهما فى مدينتين من هذه المنطقة الإسلامية العربية، إحداهما فى ١٨ فبراير ١٩٧٩ والأخرى فى ٢٢ فبراير ١٩٧٩م ، اعتمدنا فيها على شريطين مسجلين و أدخلنا بعضها فى بعض حرصاً على الايجاز و على إكمال الفائدة ، وتناولها المحاضر بالتنقيح و التهذيب ، و شئ من الحذف والزيادة ، لأن جو الكتابة والقراءة يختلف عن جو الارتجال و الخطـــابة ، و ينشرها المجمـع الاسلامى العربى لتصل هذه الانطباعات و الملاحظات إلى أكبر عـــدد من القراء ، و لا تنحصر فى إطار ضيق من المستمعين ، ونسأل الله أن ينفع بها كما نفع بما سبقهـا من محاضرات ورسائل نشرها المجمع الاسلامى العلمى و دور النشر والمكتبـات فى العواصم العربية ، و الله ولى التوفيق .

محمد الرابع الحسنى الندوى

سكرتير المجمع و مراقق المحاضر فى رحلته

١٢/ ٤/ ٩٩هـ ١٢/ ٣/ ٧٩م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد و آله و أصحابه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أيها السادة ! إنى فى هذا الموقف الكريم ينازعنى عاملان متناقضان ، فاشعر بنزاع نفسى ، العامل الأول ، أن الموضوع هو موضوع الساعة ، وحين يقع الحريق - لاقدر الله وأعاذكم الله و إيانا جميعاً منه - وتلتهب النار فى قرية ، فهناك تخرس الألسن و ينطق الواقع ، و الواقع أبلغ و أبين من ألف لسان و ألف قلم ، فيستطيع الولد الصغير أن يقوم على ربوة أو يرتقى مكاناً عالياً وينادى ، الحريق ! الحريق ! و كلمة الحريق هى أبلغ من ألف خطبة و من ألف محاضرة ، لأن النار تنطق بلسانها ، وتقول : اتقونى

www.abulhasanalinadwi.org

احذروني ، و أعدوا لي عدتكم ، كذلك إذا جاء فيضان وتحدى القرية فان هذا الفيضان يغني عن كل خطبة ، وعن كل محاضرة ، هذا هو العامل الأول الذى ينازعني و يقول لي : ماذا عسى أن تقول ، أليس الواقع المؤلم ، الواقع البين الظاهر مغنياً عن كل بيان ، ألسنا نعيش فى حالة طوارىء ؟ ألا تحدث حولنا حوادث تنطق بخطرها ، و تنبه النائم ، و تعلم الجاهل ، و تنطق الأخرس .

و العامل الثانى ، هو سنوح هذه الفرصة للاعتبار و الادكار ، و تلقى الدروس ، و الانتفاع بالواقع ، فهناك حوادث لا تدع فرصة و إنما يحتضر الانسان أو المجتمع و يكون كما قال الله تعالى : « كلا إذا بلغت التراقى و قيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » فليس هذا هو الشأن والحمد لله الآن ، فلا نزال نعيش ، ولا نزال نبصر ونعى ، ولا تزال أمامنا فرصة مفتوحة لتلقى الدروس و العظات و العبر ، فانا أنتهز هذه الفرصة السانحة ، فقد تفوت الفرصة ولا تعود ، و قد تغلب الأمم و الشعوب على أمرها ، فلا تملك من أمرها شيئاً ،

www.abulhasanalinadwi.org

ولاتستطيع أن تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، إنما تؤخذ على غرة ، ولسنا ندرى هل تقصر هذه الفرصة أو تطول ، و متى يحال بيننا و بين الادكار و الاعتبار ، و تلقى الدروس من الحوادث و الأخبار .

إن مما أكرم الله تعالى به الإنسان و شرفه على جميع خلقه ، أنه منحه صلاحية الاعتبار ، و صلاحية تلقى الدرس عما حوله ، فالحجر لا ينتفع و لا يغير موقفه ، إنما هو حجر جامد ميت لا حراك به ، و لا وعى و لا عقل ، كذلك الأشجار و النباتات ، و كذلك كثير من الحيوانات و العجماوات ، و لكن من الحيوانات من يتعظ و يعتبر و ينتفع بما يقبع حوله ، اضرب الكلب مرة أو مرتين لا يقصدك ، إنه يعرف من يطعمه ، ويعرف من يضربه ، الكلب يعرف البيت الذى يجد فيه عظماً أو كسرة خبز ، ويعرف البيت الذى يستقبل فيه بهراوة وينزل عليه بالضرب، فهو يميز بين البيتين ، ويقصد البيت الذى يجد فيه كسرة خبز أو لقمة عيش ، و يترك البيت الذى جرب مراراً أنه يضرب فيه ، أما الفرس فهو معروف بذكائه ، وخصوصاً إذا

www.abulhasanalinadwi.org

كان جواداً عربيـاً ، فهو معروف بالذكاء الموهوب ، الذكاء غير المعتاد ، و بعض الحيوانات تنتقم و تثور فيهـا الغيرة فتأخذ الثأر ، و الفيل و البعير مشهوران بالحقد و أخـذ الثأر ، وبالطبيعة الموثورة ، والذاكرة القوية ، يعرف البعير من أهانه ، و من قسا عليه قسوة زائدة ، فينتقم منـه ، فكيف بالإنسان ؟ و الله سبحانه وتعالى يمدح الانسان بهذه الميزة فيثير فيه العقل الواعى ، و يريد أن يستخدم الإنسان عقـله و يقول : « إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » « فاعتبروا يا أولى الأبصار» ويقول : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليهـا صماً و عميـاناً » و يذم الذين لا ينتفعون بما يقع حولهم من حوادث و آيات ، و هذه هى الغاية الأخيرة التى يصل إليها الإنسان فى البلادة والشقاوة إذا فقد الوعى ، و لم ينتفع بالدروس القاسية ، و الحوادث الصارخة التى تقع حوله ، فهنالك لا يمهل ، فيؤخذ ويبطش به البطش الشديد ، يقول الله تبـارك و تعالى : « و كأين من آية فى السماوات و الأرض يمرون عليهـا و هم عنها معرضون » و يقول : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم

www.abulhasanalinadwi.org

قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ، و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

وأرجو أن تتأملوا فى الآية القارعة الزاجرة المنبهة التى وصف الله فيها الكفار ، وشنع فيها على غفلتهم ، وتماديهم فيما هم فيه من باطل و لهو ، و إطباقهم العين عما يقع حولهم من حوادث وزواجر ، يقول الله تعالى : « و لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتى وعد الله ، إن الله لايخلف الميعاد » إن موضع الاعتبار فى قوله « أو تحل قريباً من دارهم » هذا هو الكتاب المعجز الذى ينطق من قبل أربعة عشر قرناً بما يقع بعد قرون و على مسافات بعيدة ، كأنه كتاب طرى ينزل الآن ، لايقول « أوتحل قريباً من دارهم حتى يأتى وعد الله ، إن الله لايخلف الميعاد » إلا الكتاب السماوى المعجز الذى نزل بالوحى .

فنحن كلنا يجب أن نكون على حذر من أن ينطبق علينا قوله تعالى « و كأين من آية فى السماوات و الأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وأن نتعظ بالحوادث التى

www.abulhasanalinadwi.org

تقع منا على غلوة سهم كما يقول العرب القدماء ، و أن نقرأ هذه اللوحة البارزة المكتوبة بقلم عريض أو « الكتابة على الحائط » (نوشتهٔ ديوار) كما يقول المثل الفارسى ، إنها أمارة تظهر و تبدو على الأفق القريب لا البعيد يقرؤها أمى ويفهمها غبى ، و هنالك موجات تموج حولنا ، و عواصف تهب علينا ، و صواعق تنزل على مقربة منا ، قد كان زمن كنا نستطيع أن نبصر كل ذلك ببصائرنا ، بفراسة المؤمن ، و بوعى العاقل ، و بدراسة المؤرخ الدارس لنهضة الأمم و سقوطها ، و المطلع على سنن الله تعالى فى الكائنات ، و لكن الحوادث الأخيرة نستطيع أن نبصرها بأبصارنا ، و بعيون رؤسنا ، لا نحتاج فى ذلك إلى ألمعية أو بعد نظر أو فراسة صادقة .

أيها الاخوان ! إن موضوع الساعة هو الموضوع الملتهب كما يقال بالانجليزية « Burning Topic » و كالسيف المصلت على الرؤوس ، إن هذه الحياة التى يعيشها كثير من الناس فى بلادنا الاسلامية و العربية ، حياة ما أنزل الله بها من سلطان ، و ما تكفل الله لها بتأييد و نصر ، هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة لاتصلح للبقاء طبيعياً و عقلياً ، و دينياً وخلقياً ، هذه الحياة اللاهية الساهية ، هذه الحياة الباذخة المترفة ، هذه الحياة التى مثلها الأعلى المادة والمعدة ، هذه الحياة التى تدور حول فرد واحد ، أوحول أسرة واحدة ، أوحول طبقة واحدة ، هذه الحياة لا تصلح للبقاء إذا تركت وشأنها ، و لم تنزل صاعقة من السماء ، ففى هذه الحياة من عناصر التدمير ، و من عناصر الشقاء ما يكفى للقضاء عليها ، لا تحتاج فى ذلك إلى عامل خارجى ، الشرارة إذا كانت كامنة فى حطب فلا تحتاج إلى إشعال نار ، لا تحتاج إلى مروحة تحرك ، أو يد قوية تشعل ، الشرارة وحدها تكفى ، إن طبيعة الشرارة أن تلتهب و تحرق .

إن الحياة التى لا يشاهد الإنسان فيها إلا مسابقة مجنونة - كسباق الخيل المضمرة - للحصول على أكبر مقدار من الثروة ، مسابقة تتخطى المبادىء الإنسانية ، و الحدود الخلقية ، جديرة بأن تزول و تنهار ، اسمحوا لى بالصراحة ، فهذا منبر رسول الله ﷺ ، و هذا هو المقام الذى كان ينطلق منه الإنذار ، أنا أعرف قدرى ورحم الله

www.abulhasanalinadwi.org

الله من عرف قدره ، فأنا لا أنطق تلقائياً ، ولكن الوضع الحـــاضر هو الذى ينطقنى ، إن الحوادث هى التى تنطقنى و تمسك بتلابيبى و تقول لى : انطق و تكلم ، و لاتخف أحداً ، أنا طائر وقع على فرع شجرة وبدأ يرفرف بجناحيه ويسجع ، ثم طار ، إن هذا المجتمع الذى يساق سوقاً عنيفاً لارحمة فيه ولا هوادة ، إلى غاية عمياء ، إلى غاية جاهلية ، مجتمع لايدوم ، ولنا عبرة فى البلاد القريبة التى ما قصرت فى صيانة هذا المجتمع ، واعتمدت على كبرى الطاقات فى الدنيا ، و استخدمت الطرق الحكيمة الداهية ، و الوسائل الجبارة القوية ، و المخططات البارعة الدقيقة التى لم يستخدمها أى بلد و أى شعب فى هذا العصر ، فماذا كانت النتيجة ؟ « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا و قذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » إن ساعة الزمان لا تقف ، و إن عقرب الانقلاب والتحول دائم سائر ، إنه يتجـــه إلى بلد دون بلد ، و إذا اتجـــه إلى بلد فى دورانه فانه يستطيع أن يتجه إلى بلاد أخرى ، فلنكن كلنا على حذر ، و لنأخذ عدتنا قبل أن يتجه هـــذا

www.abulhasanalinadwi.org

العقرب إلينا و يستهدفنا ، إننا نلقى المسئولية على حوادث سياسية ، نعم إن لها تأثيراً ، و إن الانقلابات السياسية يجب أن يحسب لها الحساب ، و لكن الذى يفتح الطريق لهذه الحوادث ، و يمهد الأرض لها ، و يقرب البعيد ، و يجعل شبه المستحيل ممكناً و ما لم يكن يتصوره الإنسان واقعاً ، هو الأسلوب الذى تحياه بلادنا ، و هو توفير أسباب الخذلان من الله ، و السخط من الناس ، و الحياة التى لا تتفق مع الدين و العقل .

إن تاريخ حضارة الأمم ، و تاريخ نهضتها و زوالها يعلمنا أنه إذا أصيب مجتمع بشرى بالتخمة بالمدنية والرفاهية ، و ابتلى بالمسابقة المجنونة فى الحصول على وسائل الترفيه و ترقية المدنية ، و فى رفع مستوى المعيشة ، و بلغ رجال هذه المدنية قمة فى البذخ و قمة فى الترف ، و كانت عندهم جيوش كثيفة جرارة ، والعدد والعدة التى يحاربون بها العدو ، و يقهرونه ، فان هذا المجتمع يزول لا محالة ، و إن هذا المدنية تنهار ، لاينقذها شئ من هذا المصير المشئوم المحتوم ، و النهاية الأليمة المقدرة .

www.abulhasanalinadwi.org

قد أصيب المجتمع الفارسى الايرانى القديم فى القرن السابع المسيحى الذى كان يحكمه أهل ساسان و الأسرة الكيانية العريقة فى المجدو العظمة بنفس الداء ، فقد بلغت المدنية فيها أوجها ، و ذروة مجدها و زهوها ، حتى كان الذى لا يلبس قلنسوة قيمتها مأة ألف ، يعير و يحتقر فى المجتمع ولا يسمح له بالجلوس بجوار الأمراء و الأشراف ، و إذا لم تكن عند شريف أو رئيس منطقة قيمتها مأة ألف أوخمسون ألفاً على الأقل ، كان يعير بذلك ، وهنالك أسماء معروفة فى التاريخ الايرانى ، مذكورة بالأنساب ، كانوا يحافظون على هذه الأعراف ، و يوفون بهذه الشروط ، و لما غزا العرب المسلمون هذه المملكة الساسانية المترامية الأطراف، التى توزعت العالم المتمدن المعمور مع الدولة البيزنطية لم ينفعهم هذا الترف ولم يغن عنهم شيئاً ، بل كان من أكبر أسباب زوال هذه المملكة و انهيار هذه المدنية .

وتعرفون المبلغ الذى بلغه الترف فى حياة هذا المجتمع بما يحكيه المؤرخون الثقات أن « يزدجرد » آخر ملوك آل ساسان لما خرج من عاصمته ينجو بنفسه ، و تعرفون

www.abulhasanalinadwi.org

الحالة النفسيـــة التى يخرج فيها من يريد أن ينجو بنفسه ، إنه لايستطيع أن يأخـذ معـه أخف شئ ، لأنه فى حالة طوارىء ، ولكن ملك إيران كان يعرف التزاماته ويعرف الأغلال التى كان متقيداً بها ، فأخـــذ ألف قيم للنمور ، وألف مرب للصقور ، و ألف طاه (طباخ) وألف مغن ، هذه أربعة آلاف من الخدم تكون جيشاً مستقلا ، و لكنه كان يبكى و يرثى لنفسه و يقول ، يا ويلاه ، ما أشقانى، و من أشـــد منى بؤساً ، أنا لا أحمل معى فى حالة الفرار إلا ألف طباخ فقط ، ماذا أصنع غـــداً ، و كيف أعيش بهذا العدد القليل من الخدم و الحشم ؟ هذا شأن المدنية إذا أصيبت بالداء العضال ، و أصبحت سقيمة عليلة ، مسلولة ، إنها تنحرف عن الفطرة بل تثور على الفطرة ، و لما اضطر هذا الملك إلى أن يلجأ إلى بيت عجوز فى مملكته ، لم يكن أحقر خدمـه يلجأ إلى هـذا الكوخ الحقير و لكن الحياة عزيزة ، و عطش بعـد هذه الرحلة الطويلة المتعبـة فطلب الماء ، و قدمت إليه العجوز المسكينة الماء فى إناء من خشب قال : « والله لومت عطشاً لما استطعت أن أشرب من هذا

www.abulhasanalinadwi.org

الإناء الحقير » .

إلى هذه الحال وصلت المدنية الفارسية الباذخة ، وأصبح قادتها و أبناؤها لا يستحقون رحمة من السماء ، و لا ينالون رحمة من بنى جلدتهم ، فكانوا يملقونهم إذا حضروا ، و يلعنونهم إذا غابوا ، و كانوا يبغضونهم بأعماق قلوبهم ، و يمدحونهم بأطراف ألسنتهم ، رياءاً ونفاقاً ، وكانت المدنية تزخر بآلاف من الشعراء ، و آلاف من الأدباء ، ومئات من المؤسسات الكبيرة ، و ثروة كان يحويها إيوان كسرى و قصر المدائن ، و تبدو ثروة خيالية أسطورية لا يصدقها الواقع ولا يسيغها العقل ، ولكن هذه المدنية الراقية ، وهذه الثروة الهائلة لم تنفع أهلها ، وكان هذا الجنون لترفيه النفس ، و إشباع الشهوات ، وإرضاء الغريزة ، هو الذى كان سبب هلاكهم ، و كان من أسباب سرعة الفتح الاسلامى العربى .

إخوانى ! إن هناك حياة لا تستحق التأييد و النصر من الله تبارك و تعالى ، لأن الله سبحانه وتعالى هو العدل البر الرحيم ، و هو العزيز الحكيم ، و هو رب العالمين ، ليس رب أمة ، و ليس رب شعب ، و ليس رب بلد ،

www.abulhasanalinadwi.org

و ليس رب مجتمع ، إنها ليست حاجات يجوز أن تكمل و يجب أن تحترم، إنما هى نهامة بالمال ، إنها معدة خيالية لا وجود لها إلا فى التصورات ، لا وجود لها إلا فى الأرقام ، و فى حسابات البنوك ، إذا تولدت هذه المعدة الخيالية فى مجتمع ، و كانت هى الحاكمة ، كانت هى الآمرة الناهية ، اكتسحت المجتمع موجة عارمة من التنافس المادى و الجشع المالى ، والفوضى الخلقية ، والقسوة و الوحشية ، هنالك يأذن الله بزوال هذا المجتمع وينطبق عليه قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

إن أخوف ما أخاف على هذه المناطق التى أكرمها الله بالثروات و الخيرات و أدر عليها الرزق الوفير و الخير الكثير ، هو « البطر » (١) إننى إذا قرأت قوله تعالى : « و كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا و كنا نحن الوارثين » أخذتنى

(١) قال فى القاموس ، البطر النشاط ، و الأشر وقلة احتمال النعمة ، والدهش و الحيرة ، و الطغيان بالنعمة و كراهية الشى من غير أن يستحق الكراهة .

www.abulhasanalinadwi.org

رعدة . و ملكنى الاشفاق و الحـــذر على هذه المجتمعات السعيدة التى تعيش فى عصر « ألف ليلة وليلة » و فى عصر الأساطير و الأخيلة ، إن أخوف ما أخاف عليها ليس هو العدو الخارجى ، و لكن هو العـدو الكامن فى النفوس ، الجاثم على المجتمع ، هو الذى أنذر به رسول الله ﷺ قريشاً فى خطبتـه على جبل الصفا حيث قال « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » .

و ما كانوا يتوقعون حين سمعوا صوته : ياصباحاه ، إلا أنه يخبرهم بعدو كامن ، قاعد بالمرصاد وراء جبل الصفا يغير عليهم على غرة منهم ، فيستاق إبلهم و مواشيهم وينهب أموالهم و يسبى ذراريهم ، فهـــذا الذى كانوا يعرفون من معنى هذا الهتاف ، ولم يجربوا إلا نوعاً واحداً من العدو ، و هو العدو الخارجى من إحـدى القبائل المعادية المنافسة ، لكن الرسول ﷺ نبههم على خطر جديد ، لم يكن لهم عهـد به و هو العدو الباطنى ، هو الحياة الجاهلية الوثنية التى كانوا يعيشونها ، بعقائدها وأخلاقها و مثلها ، إن العدو إذا وجد فى داخل مجتمع ، و فى البيوت و فى المنـــازل و عشش

www.abulhasanalinadwi.org

و باض و فرخ فى الأخلاق ، و فى الميول و الرغبات ، و فى المثل العليا ، و المفاهيم والقيم ، فهذا هو العدو الحقيق الذى لا يؤمن حيناً ولا يفارق أبداً ، إنما هى حياة جاهلية برأ الله العرب منها قبل أن يبرىء منها غيرهم ، فكانوا حاملى راية المساواة الإنسانية ، و راية الرحمة بالإنسانية المعذبة ، و راية التقشف فى الحياة ، و راية الزهد فى حطام الدنيا ، و راية إيثار الآجلة على العاجلة ، و إيثار الغير على النفس و قد وصفهم الله بقوله « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

و هم الذين خاطبهم مربى الأمة و حكيمها ، الخليفة الإسلامى العربى ، عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، فى وصيته الحكيمة للعرب « إياكم و التنعم وزى العجم ، و تمعددوا (١) ، و اخشوشنوا ، (٢) واخشوشبوا (٣)

(١) تمعدد الغلام : شب وغلظ . وقيل معناه : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، و كان ذاغلظ و تقشف .

(٢) اخشوشن : تخشن فى المطعم و الملبس .

(٣) اخشوشب : صار صلبا كالخشب فى احواله و صبره على الجهد .

www.abulhasanalinadwi.org

واخلولقو (١) ، و أعطوا الركب أسنتها ، و انزوا (٢) نزواً ، و ارموا الأغراض ، و عليكم بالشمس فانها حمام العرب (٣) » فكان يحب أن يكون العرب أبعد الأمم عن الحياة الرخية الرقيقة ، و أكثرها محافظة على حياة البساطة و الخشونة ، و الأخذ بالعزيمة ، فانها هى الأمة المهيأة لقيادة البشرية فى كل زمان ، فكيف إذا كانت بين فكى أسد ومحاطة بالأعداء و الأخطار .

إنما شقيت الإنسانية ، وشقيت المدنية دائماً بالحاجات الخيالية والغايات المختلقة والمثل الزائفة ، إنها لم تشق بالحاجات الطبيعية ، إنه لاذنب على المعدة الحقيقية ، وقد أحسنت الشاعرة الجاهلية حين عيرت أخاها فى طمعه الزائد فى المال ، وقالت :

وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم ؟

إن المعدة الخيالية لا تملؤها الرمال ، و لا تملؤها الأحجار والجبال ، وصدق رسول الله ﷺ « لوكان لابن آدم

---

(١) تبذلوا فى الملابس .

(٢) نزا ينزو نزواً : وثب ، يعنى : اركبو الخيل وثبا و نزواً .

(٣) رواه البغوى عن أبى عثمان النهدى .

www.abulhasanalinadwi.org

وادیان من ذهب لابتغی إلیهما ثالثاً ، و لا یملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، و یتوب الله علی من تاب » .

إن أحد نوابغ هذا العصر و کان إسرائیلی السلالة ، یهودی الدیانة ، غربی النشأة ، و هو محمد أسد النمساوی الذی کان یسمی سابقاً بلیوپولدویس Leopold Veiss یحکی قصة إسلامه فیقول : إنی کنت مسافراً فی سنة ١٩٢٦م فی قطار برلین تحت الأرض ، و کانت معی زوجتی ، و هی رسامة و فنانة ، کانت ذکیة جداً ، و قد لاحظت أن کل زملائی فی هذه الدرجة مکتئبون تعلو وجوههم کآبة ، و یغشاها قتام ، و کان ما یحملونه من متاع و یلبسونه من ملابس ، ویتحلون به من خواتم ، یدل علی أنهم من الطبقة المثریة فی البلد ، وکان الزمن زمن الرخاء الذی عقب سنوات « التضخم » فی أوربا ، فانا تحیرت ، و فکرت ، وقلت : لماذا هذه الکآبة ، و ما سبب هذا الحزن العمیق الذی هم غارقون فیه ؟ و لفت نظر زوجتی ، وقلت : یا عزیزتی ! انظری فی وجوه هؤلاء القوم ألا تشعرین بأنهم تعلوهم الکآبة ؟ قالت: نعم ، إنهم جمیعاً یبدون وکأنهم یعانون آلام الجحیم ،

www.abulhasanalinadwi.org

وأردت أن أفسر هذه الظاهرة ، فلم أنجح ، و رجعت إلى مكتبي ، فاذا بالمصحف على منضدتى ، فأخذته من غير قصد وفتحت من غير اختيار ، فاذا بسورة التكاثر تطالعنى ،ويقول الله تبارك و تعالى :

« ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم »

و كنت متردداً هل أدخل فى الاسلام ، أو لا أزال أشرحه ، وأعرضه فى الأسلوب العلمى العصرى كما كان شأنى ، و لم أكن قررت بعد أن أعتنق الاسلام ، ولما قرأت هذه السورة ، قلت : و الله إن هذا الكلام لا يأتى به إلا من ينزل عليه الوحى ، هذا الكلام لايقوله بشر قبل ثلاثة عشر قرناً ، إنه يصور المجتمع الغربى المعاصر الراقى بقسماته ومخايله ، ويتنبأ بالعذاب النفسى الذى يتميز به هذا القرن العشرون رغم رقيه الصناعى والحضارى، ويعين مصدر هذا العذاب و الشقاء الذى كان يعانيه ركاب القطار الذين رافقتهم و يعانيه المجتمع الأوربى بشكل عام و هو « داء التكاثر » لا غير ، فمن

www.abulhasanalinadwi.org

ساعتى خرجت إلى صديق لى مسلم هندى ، وقلت : يا أخى ماذا يفعل من يريد أن يدخل فى الاســلام ؟ قال : يقول « أشهــد أن لا إله إلا الله و أن محمــداً رسول الله » فنطقت بالشهادتين و أصبحت مسلماً (١) .

إخوانى ! أنا أوصى أولا نفسى و إياكم بعد ذلك ، أن نعتبر بالحوادث التى تقع حولنا ، و أن نغير نفوسنا قبل أن تغيرنا العوامل القاهرة ، المفروضة علينــا فى الداخل ، أو الواردة إلينا من الخـارج ، التى تجوس خـلال الديار ، ولا ترحم أحداً . ولنجعل المثل الكامل هو الحياة الاسلامية العادلة المؤسسة على إيثار الآخرة على الدنيا ، المؤسسة على الحقائق الغيبية الدينية ، والمثل الخلقية ، و المبادىء الفاضلة ، و نحترز من الذنوب و الكبـائر ، و قد كتب سيدنا عمر ابن عبد العزيز إلى قائد جيشه فقال :

« آمره ألايكون من شئ من عدوه أشد احتراسا منه لنفسه و من معه . من معاصى الله ، فان الذنوب أخوف عندى

---

(١) إقرأ القصة بطولها و نصها فى « الطريق إلى مكة » لمحمد أسد ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩ و لقد لخصتها فى المحاضرة اعتماداً على ذاكرتى .

www.abulhasanalinadwi.org

على الناس من مكيدة عدوهم ، و إنما نعادى عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ، و لو لا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ، و لا عدتنا كعدتهم ، فلو استوينا نحن و هم فى المعصية كانوا أفضل منا فى القوة و العدد ، فإلا ننتصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، و لا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم » (١) .

أقول هـذا و أستغفر الله لى و لكم ، و أدعو لكم و للمسلمين جميعاً ببقاء العافية و طول السلامة ، و التوفيق و الهداية .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

www.abulhasanalinadwi.org